العدد(1402) السنة السادسة - السبت (3) كانون الثاني 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

2009: عام الأســـــئلة!

الأهرام
١/٢

بقلم/ عاصـم القـرش

لا شيء.. ولا حتى دواعي التمسح بحسن الحظ و الرغبة في التعلق بأي أمل بحكم العادة في بداية عام جديد.. لاشيء يمكن أن يغير الأمور ويجعلك متفائلا بأي صورة في٢٠٠٩، بعد سنة كبيسة كتلك التي انتهت لتوها باختبار صعب لمصرعلى حدودها الشرقية،وبغمة عربية جديدة، ومحنة اقليمية حقيقية، وحروب كلام غير مفيد، وانقسام مخيف، ومذبحة أخري تنضم إلي السجل الطويل، وضحايا بالآلاف، وسلام أوهام قتيل لا يريد أحد أن يشيعه إلي مثواه، ثم اتهامات طائرة في الهواء بلا تدقيق، ورسائل موجهة الي العناوين الخطأ، وحرائق غضب حزين.تكتفي بالغضب.ولوعة قليلة الحيلة ومظاهرات تسد عين الشمس في مصر والأراضي المحتلة والمنطقة بأسرها التي صعقها اعصارالانتقام والوحشية والارهاب الاسرائيلي في غزة، والذي عري بقسوة ثقوب الواقع العربي و الخلل الفادح في موازين القوى، ووضع أسوأ نهاية لعام سييء.

الصورة إذن واضحة ولا تسر الحبيب و انما تسر العدو بالتأكيد الي الحد الذي يجب معه ألا يتعب أحد نفسه في أي تنبوءات أو اجتهادات لتصور سيناريوهات المستقبل، أو محاولة التكهن بما سيجري في.٢٠٠٩ و الأسوأ أن٢٠٠٨ ستظل على ما يبدو باقية معنا حتى اشعار آخر بتركتها الصعبة وملفاتها المعلقة هنا في مصر و العالم على اتساعه، بما في ذلك مصير سلام القنابل... وتداعيات كابوس الأزمة المالية العالمية التي لا تريد أن تنحسر بسرعة.. ومعها عشرات الرهانات المعلقة في رقبة أوباما رئيس أمريكا الجديد بأساس أو بغير أساس.. ثم الأسئلة الكبرى حول تحديات المكان والمكانة وتبعات الدور التي ستظل تفرض نفسها على مصر بلا انقطاع في٢٠٠٩، بحكم القدر والاختيار، وهي تحاول أن تفك اشتباكات العلاقة المعقدة مع اسرائيل ومع ايران ومع سوريا وحماس.. إلي آخر القائمة التي يجب ألا تتناقض مع مهمتها الأهم في توفير كل ما يمكن اتاحته من مقومات السعادة التي يستحقها أبناؤها.

باختصار: فإن الحال بدا في٢٠٠٨ . في كل شهوره.وكأنه استحضار لروح أعوام سابقة قاسية.. بنفس أسباب الفرح و الأسي ونفس الهزائم الكثيرة والانتصارات القليلة للعرب وباقي الشعوب المغلوبة على أمرها. ثم نفس القصص المكررة للتعاسة غير المبررة سواء كنت تتحدث عن عنف بشر ضد بشر وطبيعة ضد أوطان.. أو عن معارك إرادات عبثية(روسيا في مواجهة جورجيا مثلا)، أو عن صراعات سلطة وخلافات قبلية مجنونة تنتهي بمجازر ونزوح إجباري كما حدث في كينيا والكونغو وجزر القمر. وفي مصر تحديدا كان هناك برغم تحفظات عديدة سقف أعلى للحرية يجعلك تفهم أكثر لماذا كانت هناك فورات استياء، ومشاعر خيبة أمل في اصلاح لا يتحرك في الاتجاه وبالايقاع اللذين يريدهما الكثيرون، وفي وزارات ومسئولين يكررون أخطاءهم في كل مناسبة، وفي معارضة لا تعرف من الألوان إلا الأسود، وفي أحزاب غارقة في صراعاتها، وفي صحف مشغولة عن مهمتها الأصلية بممارسات غير مهنية و صغائر لا تليق بها.

ومثلما كانت هناك لحظات فرح خاطفة و استثنائية أسعدت الملايين في ليلة انتصار أوباما أو يوم طار الحذاء الشهير في وجه جورج بوش، أو أسابيع الدورة الأولمبية المبهرة في بكين(والتي عدنا منها بميدالية يتيمة و فضيحة رياضية مرت بلا حساب جاد وكأنها تلخيص لأدائنا في اغلب الأحوال)، مرت علينا ومضات سعادة عابرة مع انتصار كروي لمصر مرة أو أثنتين.. وكانت هناك في المقابل ساعات ألم و دموع بلا عدد بعد كارثة الدويقة التي سجلت الدفن الثاني لضحايا كانوا مدفونين بالحياة أصلا، وبعد انفجارات مومباي التي أثبتت أن الإرهاب لم يختف- بعد- من العالم مهما كانت الأمنيات والاستعدادات لمحاربته.. إلي الدرجة التي تجعلك تقتنع بأن البشر سيبقون هم البشر بنفس عيوبهم وضعفهم وأخطائهم.

٢٠٠٨ كان ذلك كله وأكثر، وحتى بعد أن أضيفت إلي عمره ثانية استثنائية الليلة الماضية في آخر دقيقة منه (لكي يضمن العالم دقة التوقيت ويعوض أي خلل في دوران الأرض)، فإنه لم يستطع حسم تطورات سياسة واقتصاد و مضاعفات اجتماعية ومعاناة لم تزل تبحث عن نهاية.

وربما يكون٢٠٠٩ فرصة اضافية لاختبار مواقف أطراف كثيرة في انتخابات حاسمة منتظرة في فلسطين ولبنان واسرائيل وايران ولأن يعرف الجميع كيف ستنتهي الفصول غير المكتملة لعام شهد في العالم العربي نفس خطوط التقسيم بين معسكرات الثوار والمعتدلين والموالاة والمعارضة.. ونفس فوضى التنافس على الريادة والقيادة، وتابع بالتوازي مفاجآت التقلب غير المسبوق في أسعار البترول صعودا وهبوطا ليؤكد خلاصة الحكمة القديمة: ما طار طير وارتفع.. وليضاعف الضغوط في الشهور المقبلة على ميزانيات وطموحات دول النفط.

٢٠٠٨ كان على سبيل التغيير عام خيبة الرأسمالية ومعها تنبه الجميع.و لو متأخرا. إلي أن النموذج الغربي لاقتصاد السوق ليس معصوما وأن دور الدولة يجب ألا يلغي لا هناك في الغرب ولا هنا من باب أولي. وسنكتشف سريعا في٢٠٠٩ ما إذا كانت الدول الكبرى .وباقي العالم.قد نجحت في تعلم الدرس والنجاة من العاصفة والأهم أن العام الجديد سيعطي المصريين الفرصة لأن يحكموا على مهارة حكومتهم في أن تجد الفرصة في قلب الأزمة.كما وعدتهم.و سيقدم لهم بالمرة لمحة اضافية لوجه العولمة السيئ ولضريبة فتح النوافذ التي تسمح بدخول نسمات الهواء لكنها لا تستطيع أن تمنع الزوابع!

وبالقدر نفسه كان٢٠٠٨ عام القتال بلا جدوى في أفغانستان.. وكان كذلك عام الحرب الروسية الجورجية.مرة أخرى.التي أكدت بها موسكو أنها لا تزال صاحبة الكلمة الأخيرة في فنائها الخلفي القديم. ثم إنه كان عام القراصنة الذين كان بينهم من اختطف سفنا أمام سواحل الصومال أو انتزع شرعية حكم و قصور رئاسة وبلدا بأكمله في موريتانيا، وبعدها غينيا قبل أيام من انتهاء العام(وكلها وقائع جرت بالمصادفة في أفريقيا المنكوبة بحظها وبعض أبنائها).

في مصر٢٠٠٨ أيضا كانت هناك أسباب أخرى لعدم الرضا غير غزة وحصارها. وفي مناسبات بلا حصر خرج متظاهرون للاعتراض على الأسعار أو على عنف الأساتذة أو زحام طوابير الخبز أو المطالبة بكادر جديد أو حتى لإدانة أمريكا و تحيزها. وكان هناك من احتج بالميكروفونات واللافتات على سلم نقابة الصحفيين أو دون تحفظاته على جدران الفيس بوك أو استخدم الطوب والاطارات المحترقة كما فعل العشرات من العاطلين واليائسين في غمرة تظاهرات عمال المحلة في ابريل الماضي.

وكما كان٢٠٠٨ هو عام الجدل حول غواية المال وتقاطعات البيزنس والسياسة، والعنف المفرط في الجريمة المصرية ومواصفات حقيبة الاسعاف في قانون المرور الجديد، فإنه فتح الباب لمناقشات في كل اتجاه حول العلاوة الاجتماعية التي طارت في الاسبوع نفسه، وحول تغير النظرة إلى صورة المدرسين و ضباط الشرطة ورجال الأعمال الذين كان بينهم من فقد أعصابه و قرر أن يأخذ حقه بيده أو عصاه أو حتى مسدسه!. ثم إن العام لم ينته إلا وقد أضاف إلي سجله الحافل مزيدا من المفارقات التي كان أكثرها اثارة للتأمل ظواهر انفلات في الشارع و تحرش جماعي وتراجع أخلاق و غياب نخوة، دخل بفضلها إلي القاموس المصري لأول مرة تعبير تبادل الزوجات. وبالمثل فقد وضعت واقعة تسريب امتحانات الثانوية العامة كثيرا من الآباء والأمهات في مواجهة اختبار أخلاقي كان على هم أن يشتروا فيه نجاح أبنائهم فيلقنونهم الدرس الخطأ أو يخاطروا بتقليل فرصهم إذا قاوموا الإغراء.

غير أن الاختبار الأكثر أهمية المطروح أمام مصر هو ما إذا كانت الإجابة. في مثل هذا الوقت بعد١٢ شهرا. ستكون بنعم على السؤال الأصعب: هل سيكون المصريون في نهاية٢٠٠٩ أقل احتجاجا و أكثر رضا، وأقل عنفا وأكثر تكاتفا، وأقل فهلوة وأكثر فعلا.. وأقل تشككا و تراجعا وأكثر مبالاة وسماحة ونجاحا وتفاؤلا.. مهما كانت السنة سيئة وقاسية وعصيبة... كل عام وأنتم..!

حول الرئاسة الفرنسية للاتحاد الأوروبي

البيان
١/٢

بقلم/ ديدييه بيليون

اتجهت التحليلات والتعليقات الفرنسية في الأيام الأخيرة نحو القول عموما إن محصلة الرئاسة الفرنسية للاتحاد الأوروبي هي إيجابية مع التركيز خاصة على مناقب الرئيس نيكولا ساركوزي. ولا شك أن هذا الأخير برهن على قدرة عالية في التحرّك لم تكن مألوفة من قبل قادة الاتحاد الأوروبي حتى الآن. لكن نجاح رئاسة لا تصحّ إعادته إلى نجاح رجل واحد. وليس فقط لكون أنّه محاط بالعديد من المستشارين ولكن خاصة لكون أن القيام بعملية تقييم محصلة حقيقية تتطلب إخضاعها إلى عدة مقاييس أكثر أساسية يبدو أن المعلقين لم يولوها اهتمامهم. وفيما هو أبعد من شخصية الرئيس الفرنسي تبدو لنا المحصلة الحقيقية للمجلس الأوروبي الأخير في بروكسل أقل إيجابية من المحصلة التي قدّمها المعلقون غالبا.

أولا على صعيد القيم الديمقراطية التي يدعو لها الاتحاد الأوروبي. هناك الاتفاق المبرم بين رؤساء الدول والحكومات الأوروبيين من أجل إعادة استفتاء الشعب الايرلندي على اتفاقية برشلونة قبل شهر نوفمبر-٢٠٠٩ كان الايرلنديون قد رفضوا في استفتاء عام جرى في شهر يونيو-٢٠٠٨ التصديق على هذه الاتفاقية.

ويسود الشعور المربك اليوم أن الاتحاد الأوروبي قد أعاد اختراع مبدأ السيادة الوطنية المحدودة الذي كانت قد دعت إليه الأنظمة الستالينية أثناء فترة الحرب الباردة . ذلك أنه إذا تتبعنا منطق قرار المجلس الأوروبي فإنه يمكن للشعب الأوروبي الوحيد المسموح له بالتعبير في استفتاء عام على الاتفاقية الأوروبية أن يقترع ما يشاء من المرّات شريطة أن ينتهي به الأمر إلى تقديم الإجابة الوحيدة المقبولة من قبل القادة الأوروبيين. القضية ذات أهمية كبيرة بالنسبة لمستقبل الاتحاد الأوروبي، ذلك أن تجاهل نتائج اقتراع ديمقراطي وبعد حملة ديمقراطية قد يعني مخاطرة رؤساء الدول والحكومات الأوروبية بنسف أسس الديمقراطية الأوروبية نفسها. أمّا بالنسبة للمساومة التي شُرع فيها مع الحكومة الايرلندية لإقناعها بدعوة مواطنيها إلى استفتاء جديد فهي تتجاوز الحدود ذلك أنه تمّ تقديم الوعد لايرلندة بضمان وجودها الدائم كعضو في المفوضية الأوروبية.

هذا في الوقت الذي كان قد جرى فيه تقديم عملية تقليص عدد المفوضين الأوروبيين على أنها احد أشكال التقدم التي أحرزتها اتفاقية لشبونة. هذه الاتفاقية جرى إذن تعديلها في نقطة مهمة مما يُفترض أن يؤدي حسب المنطق السليم التصديق على نصّها الجديد من قبل كل الدول الأعضاء، وهذا ما لم يتم حتى التفكير فيه.

وأبرزت الحكومة الايرلندية ضمانا آخر يتمثل في التأكيدات المقدمة لها بخصوص الحياد العسكري للبلاد ورفضها لرؤية الاتحاد الأوروبي ينخرط أكثر في الاندماج العسكري داخل الحلف الأطلسي. هذا وبعد ساعات من هذا الضمان المزعوم الممنوح لايرلندة تبنّى المجلس الأوروبي قرارا يذهب في الاتجاه المعاكس تماما، عبر الدعوة إلى انطلاقة جديدة في الميدان العسكري (بالتكامل مع الحلف الأطلسي).

وكان نيكولا ساركوزي قد حبّذ سياسة دفاع أوروبي مستقلة تتعاون مع الحلف الأطلسي. لكننا هنا أمام واقع مشدود بين أوروبا الدفاعية التي لا وجود لها وبين الحلف الأطلسي الحاضر والقوي، ومن هنا تأتي المصداقية القليلة لما دعا إليه الرئيس الفرنسي.

وهناك مسألة معالجة الأزمة الاقتصادية إذ لا يمكن الزعم ان الاتحاد الأوروبي قد استخلص النتائج من الزوابع المالية والاقتصادية التي تعصف بالنظام الرأسمالي وإنه كان قادرا على اتخاذ إجراءات عاجلة جماعية.

والخطة المزعومة للنهوض الأوروبي هي أقل بحوالي خمس مرّات من الخطط الأميركية أو الصينية. ثم أن الأمر لا يتعلق حقيقة بخطة أوروبية ولكن بمجموع الخطط الوطنية ذات المصالح المتناقضة أحيانا. بحيث أن البعض يركزون على العرض بينما يركز الآخرون على الطلب.

ويُخشى أن لا يكون لهذه الإجراءات، غير المناسبة جزئيا، الآثار المطلوبة على الأزمة. فبالنتيجة يدفع أصحاب الرواتب الثمن غاليا. أمّا البنوك التي ستتجنب الإفلاس فستكون راضية جدا عن الإجراءات المتخذة على عكس المواطنين الأوروبيين احتمالا.

وأخيرا لم تكن الخطة الخاصّة بالمناخ على مستوى التحديات، رغم أنها كانت رهانا كبيرا في القمة الأوروبية. كان الأمر يتعلّق خاصة بتحقيق الأهداف المحددة في شهر مارس من عام ٢٠٠٧ والخاصة بتقليص إصدار الغازات من المصانع بنسبة ٢٠ بالمائة من الآن وحتى عام ٢٠٢٠ بالقياس إلى عام ١٩٩٠. لقد بقيت الأمور غائمة بهذا الشأن ثم لم يتم إقرار أية منظومة لعقاب البلدان التي لا تحترم التزاماتها. وهناك ضغوط من الصناعيين ومن عدد من البلدان مثل ألمانيا وبولندة وإيطاليا باتجاه ضرورة المحافظة على قدرة المنافسة والمحافظة على إيقاع عالي للإنتاج. بالاعتماد على ما سبق تمكن ملاحظة أن المجلس الأخير للاتحاد الأوروبي المنعقد في ظل الرئاسة الفرنسية والذي جرى تقديمه على أنه نجاح سياسي لهذه الرئاسة هو في الواقع مخيّب للآمال ولم يبرهن على أنه على مستوى الأزمة التي تجتازها الدول الأعضاء. ولعله كان من الاستقامة الاعتراف على الأقل بمحدودية ما توصّل إليه.

النهار
١/٢

محاولة لتغيير وجـــه الصـــراع

رنده حيدر

تحولت العملية العسكرية الاسرائيلية على قطاع غزة الى امتحان كبير لإسرائيل على اكثر من صعيد. فعلى الصعيد العسكري لم تعد العملية هي محاولة لتغيير الواقع السائد في غزة بالقوة وتقويض سلطة حركة «حماس» العسكرية والسياسية على القطاع، وانما باتت أهم اختبار عسكري جديد لقدرات الجيش على تحقيق الحسم بعد عملية اعادة البناء والإعداد التي خضع لها في أعقاب حرب تموز عام ٢٠٠٦. أما على الصعيد السياسي الداخلي فيبدو أنها المحاولة الأخيرة لحزب «كاديما» ولحزب «العمل» بزعامة وزير الدفاع ايهود باراك لإستعادة ثقة الجمهور الاسرائيلي الذي سيذهب الى صناديق الإقتراع بعد نحو شهر من الآن. وفي الواقع المواجهة العسكرية الدائرة اليوم في غزة هي ايضاً أهم اختبار تخوضه حركة «حماس» في صراعها مع اسرائيل. واذا كانت عمليات القصف الجوي الإسرائيلية المركزة استطاعت حتى الآن تدمير جزء كبير من البنى التحتية لسلطة «حماس» حاصدة ثمناً دموياً هائلاً من حياة المدنيين في غزة، فإن هذه العمليات لم تستطع القضاء على القوة العسكرية للحركة بدليل استمرار قصفها الصاروخي للأراضي الإسرائيلية حتى اليوم الرابع للعملية العسكرية. وتشير التقارير الاسرائيلية أن اهم الاسباب التي تؤخر العملية البرية على القطاع هو الدخول في مواجهة وجهاً لوجه مع مقاتلي الحركة قد يدفع الجيش الاسرائيلي ثمناً باهظاً لها من حياة جنوده.

فالأرجح أن الحركة ما زالت تحتفظ بقدر من قوتها لمثل هذه المواجهة وهي مستعدة لخوض حرب عصابات ضارية ضد القوات الإسرائيلية على الطريقة التي خاض بها مقاتلو «حزب الله» مواجهاتهم ضد الجنود الإسرائيليين صيف ٢٠٠٦ عبر نصب الكمائن وزرع العبوات الناسفة واستخدام الصواريخ المضادة للدروع. من هنا يمكن القول إن المعركة العسكرية الفعلية لم تبدأ بعد برغم الثمن المخيف الذي دفعه الفلسطينيون حتى الآن من حياتهم وبالتالي فأي وقف للنار في هذه المرحلة سيكون موقتاً لإلتقاط الأنفاس ومراجعة كل طرف لحساباته. وعلى الأرض الطرفان في مأزق؛ فحركة «حماس» تعلم جيداً ان نتائج هذه المواجهة العسكرية ستحدد مصيرها العسكري والسياسي على حد سواء؛ أما اسرائيل فتعلم أنه ستكون لهذه النتائج انعكاساتها الدراماتيكية على قدرتها على الردع المتضررة منذ حرب تموز وعلى مستقبل العملية السلمية مع الفلسطينيين والعرب وعلى المستقبل السياسي لحكام اسرائيل اليوم.

تطرح العملية العسكرية في غزة من جديد على اسرائيل مشكلة أساسية هي كيفية استخدام القوة العسكرية في خدمة اهداف سياسية قابلة للتحقيق. فالكل اليوم منشغل في بلورة ما بعد الحرب على غزة. وهنا تتعدد السيناريوات بتعدد الأطراف. فالجيش الاسرائيلي يدعم عملية برية في غزة تحقق حسماً عسكرياً لا لبس فيه ولا تترك لـ«حماس» مجالاً للحديث عن أي « انتصار الهي». ولكن السبيل لتحقيق ذلك غير واضح هل يكون عبر الاحتلال الكامل للقطاع مع ما يستتبع ذلك من الوقوع مجدداً في «فخ غزة»، أم يكون فقط بالسيطرة على محور فيلادلفي المتاخم للمستوطنات الاسرائيلية والذي تستخدمه المنظمات الفلسطينية لتهريب السلاح الى القطاع، هذا مع العلم أن عودة السيطرة الاسرائيلية على فيلادلفي لا يحل مشكلة صواريخ القسام؟

وزير الدفاع ايهود باراك يؤيد توظيف الضربات الجوية لتضييق الخناق على «حماس» وحملها على القبول بالشروط الاسرائيلية الجديدة للعودة الى تهدئة شاملة وغير محدودة زمنياً. لكن عيوب هذا الطرح أنه لا يحل مشكلة أساسية في نظر الاسرائيليين هي استغلال الحركة لـ«التهدئة» من أجل اعادة بناء قوتها العسكرية وتهديد اسرائيل من جديد. هناك أيضاً وجهة نظر وزيرة الخارجية تسيبي ليفني القائلة بضرورة استكمال الضغط العسكري على «حماس» والمضي قدماً بالعملية البرية من أجل التوصل في ما بعد الى وقف نار شامل بوساطة دولية على شاكلة وقف النار الذي جرى التوصل اليه مع «حزب الله» صيف ٢٠٠٦.

ما تشهده غزة اليوم ليس مجرد عملية عسكرية اسرائيلية وحشية جديدة، وانما هي محاولة لخلق معادلات عسكرية وحقائق سياسية جديدة على الأرض قد تغير وجه الصراع الفلسطيني مع إسرائيل.

رسالة الى مصر وكل امصارنا واقطارنا

الدستور
١/٢

راكان المجالي

على هامش القمة الخليجية في مسقط يلتقي الصحفيون العرب من انحاء الوطن العربي وكافة بلدانه في حلقات حديث متواصل عن الهموم والاوجاع والاوضاع في المنطقة ، ويتشعب الحديث ليجهر كل واحد بتشخيص الاحوال المتردية والسلبيات في العمق بما تنطوي عليه من خفايا تجعل الحديث يحمل ابعادا لقصص وحكايات وممارسات غريبة ومثيرة،، وتسأل لماذا يصل الصحفيون الى كل هذه الصورة السوداوية وتسأل عن النصف المليء من كأس الماء فيجيبونك بانه ولا ربع الكأس وبعضهم يقول ولا عشرها مليء، بل ان البعض يبالغ في سخطه ويقول لك ولا: (نقطة في الكأس).

ما يقوله الصحفيون في مجالسهم الخاصة الحميمة هو مختلف عما يكتبه اكثريتهم من تحميد وتسبيح بفضل الحكومات وبركاتها، وهذه الظاهرة الباطنية ليست خاصة بالصحفيين وانما بالمجتمع كله الذي يعاني من «شيزوفزينا» بين ما يعلن وبين ما هو مضمر من قبل افراد هذا المجتمع.

والخلاصة التي تخرج بها تأملاتك بما هو مطروح من افكار ونقد ورفض وسخط يفضفض به الصحفيون لبعضهم وهو يعكس ما في سرهم كما هو حال بقية فئات وقطاعات المجتمع كله له معنى واحد وهو ان الاحوال العربية في كل اقطار وامصار الامة غير سارة، واننا جميعا مقصرون في حق اوطاننا التي تزداد معاناتها وعذاباتها، وان لها علينا حقاً، كل حسب موقعه والدور المتاح له، وكل مواطن منا مدين لوطنه باعتذار، وهو ما عبر عنه زميلنا في الاهرام المصرية نصر القصاص برسالة الى مصر هذا نصها:

سيدتي ام الدنيا مصر..

نعفر انفسنا بالتراب ، ونشق جيوبنا، ونتقلب على جنوبنا من لسعة الندم، ونقف بالليالي على ابوابك ندق حتى تنزف ايدينا ، نتوسل اليك بانهار من دمعونا، نخلع ثيابنا الا ما يستر عوراتنا، ونجلد بعضنا بعضا، حتى تعفي عنا وتسامحينا عما فعلناه بك وما زلنا نفعله، ولا تصدقينا، فنحن كاذبون، غشاشون، منافقون، نغني لك ونحن نبيعك في سوق النخاسة بابخس الاثمان، ونتظاهر باننا نكاد نموت كمدا وحزنا، وقد نبالغ وننشر نعيا من مليون سطر في جريدة الاهرام لا ندفع ثمنه من جيوبنا بل نقترضه او نختلسه او نأخذه رشوة من صاحب مصلحة.

سيدتي ام الدنيا..نحن جميعا جناة ، من تاجروا بك او نهبوا ثرواتك او جرفوا ارضك او خانوا امانتك او سكتوا على ما يجري لك.

ولا اعرف بالضبط ما الذي يمكن ان نعتذر عنه، فذنوبنا كبيرة وخطايانا فادحة، وجرائمنا في حقك تجاوزت كل الحدود، كنت تاجا وأميرة وطهارة وحضارة ومنارة، فحولناك الى محطية وسوق وفوضى وفساد وتخلف، فعلنا ذلك مع سبق الاصرار والترصد، لم نرتكبه من باب الخطأ غير المقصود، ولا بغباء راجع الى تراجع عقولنا وسقوطها في فخ تعليم معطوب وثقافة تقدس الماضي على حساب الحاضر والمستقبل،نعيش على ضفاف نهرك العظيم، في شريط ضيق لا يزيد على ٦٪ من أرضك، وتركنا بقيتها خربة مهجورة، حبسنا أنفسنا في الوادي مثل الفئران المكدسة في مصيدة، والزحام له قانون صارم، يفرض نفسه على الجميع، وهو ان البقاء للاقوى وليس للاصلح ، فالكل يتقاتل على مسافة او مساحة، والمسافات ضيقة والمساحات معدومة، والاقوى فقط هو القادر على انتزاع مكان له، والقوة فلوس او سلطة او نفوذ.

سيدتي أم الدنيا..

بات الامر بشعا.. عشوائية في المباني.. عشوائية في الشوارع.. عشوائية في السلوك.. عشوائية في النفوس، والناس تبدو راضية، او تنفس عن نفسها بالكلام في الجلسات الخاصة.. دون ان تصنع شيئا تغير به حياتها الى الأفضل، ربما – يا مولاتي – هم ينتظرون الفرج من السماء، لكن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولا ديمقراطية.

سيدتي ام الدنيا مصر..لقد أهناك كثيرا.. وسرقناك كثيرا ونهبناك كثيرا وشوهناك كثيرا وسكتنا كثيرا وتركناك للذئاب.. فلا تسامحينا، هذا هو نص رسالة زميلنا المنشورة قبل بضعة أسابيع في جريدة الاهرام المصرية، وهي رسالة موجهة من كل صحفي وكاتب محب لوطنه وغيور عليه في كل أنحاء الوطن العربي، ويمكن ان يكون اسم هذا البلد الذي يعتز به إنسانه أي بلد من بلداننا الـ ٢٢ من المحيط الى الخليج.